



The eloquence of the analogy in (Maqamat al-Zahir Abi al-Hasan)

Maan Wadallh Qasim 

Department of Arabic Language / College of Arts /
University of Mosul / Mosul - Iraq

Ammar Ismail Ahmed 

Department of Arabic Language / College of Arts /
University of Mosul/ Mosul - Iraq

Article Information

Article History:

Received June 30, 2024

Revised July 11, 2024

Accepted July 21, 2024

Available Online March 1, 2025

Keywords:

The eloquence

The analogy

Maqamah

Correspondence:

Ammar Ismail Ahmed

ammar.i.a@uomosul.edu.iq

Abstract

The analogy is one of the most prominent methods of statement science in Arabic rhetoric and its cornerstone, as it plays a prominent role in enriching the perception and imagination of both poetic and prose language, as well as considering it an aesthetic element popular in the language of Zad - in particular- in the Arabic Maqamah for the diversity of its methods between poetry and dictionary prose, so the research sought to study this art in (Maqamat al-Zahir Abi al-Hassan), as it contained a variety of methods of analogy, as well as the rest of the arts of the statement.

The research was based on giving an explanation of the concept of the analogy in the language and in the rhetorical terminology of the early linguists until the stability of the latter, then identifying the basic elements of the analogy: (the two parties: the suspect and the suspect), then the similarity, purpose, conditions and tool, passing through the counting of its ranks and clarifying it in terms of the absence of one of its parties or its presence in the analogous sentence.

The research took samples of the types of analogy mentioned (in the Maqamat al-Zahir Abi al-Hassan) - in a numerical table attached to the research, but we did not accompany it for fear of prolongation - it was dealt with in the descriptive rhetorical analysis revealing the characteristics of the species used - in the study model - and their aesthetics, starting with the most rhetorical and then the least.

DOI: [10.33899/radab.2024.151360.2192](https://doi.org/10.33899/radab.2024.151360.2192)©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

بلاغة التشبيه في (مقامات الظاهر أبي الحسن)

دراسة بيانية

عمار اسماعيل أحمد**

معن وعد الله قاسم*

المستخلص

يعد التشبيه أحد أبرز أساليب علم البيان في البلاغة العربية وركنه الأساسي، إذ يؤدي دوراً بارزاً في إثراء التصور والخيال للغة الشعرية والنثرية على حدٍ سواء، فضلاً عن عدهً عنصراً جمالياً رائج الاستعمال في لغة الضاد- ولاسيما- في المقامة العربية لتنوع أساليبها بين شعرٍ ونثرٍ مسجّع، لذا سعى البحث لدراسة هذا الفن في (مقامات الظاهر أبي الحسن)؛ لما حوت من تنوع في أساليب التشبيه، فضلاً عن بقية فنون البيان.

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل / الموصل - العراق

** قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل / الموصل - العراق

وقام البحث على إعطاء توضيح لمفهوم التشبيه في اللغة وفي الاصطلاح البلاغي عند أوائل اللغويين حتى استقراره عند المتأخرين، ثم الوقوف على أركان التشبيه الأساسية: (الطرفين: المشبه والمشبّه به) ثم وجه الشبه والغرض والأحوال والأداة، مروراً بتعداد مراتبه وتوضيحها من حيث غياب أحد أطرافه أو حضوره في الجملة التشبيهية. وعمد البحث إلى أخذ نماذج من أنواع التشبيه الواردة (في مقامات الظاهر أبي الحسن) متناولها بالتحليل الوصفي البلاغي كاشفاً عن سمات الأنواع المستعملة في نموذج الدراسة- وجمالياتها ابتداءً بالأكثر بلاغةً ثم الأقل.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التشبيه، المقامة.

التشبيه لغةً:

" الشَّبْهُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّحَاسِ يُلْقَى عَلَيْهِ دَوَاءٌ فَيَصْفَرُّ وَسُمِّيَ شَبْهًا لِأَنَّهُ شَبَّهَ بِالذَّهَبِ ، وَفِي فَلَانٍ شَبَّهَ مِنْ فَلَانٍ ، وَهُوَ شَبَّهُهُ وَشَبَّهُهُ ، أَيْ شَبَّهَهُ . وَنَقُولُ : شَبَّهْتُ هَذَا بِهَذَا . وَأَشْبَهَ فَلَانٌ فَلَانًا " (1). كما جاء عند ابن فارس " الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفاً . يُقَالُ شَبَّهَ وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ ... وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ إِذَا أَشْكَلَا " (2). قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِّهَاتٌ) [آل عمران: 7] ، وذكر ابن منظور : " شبه: الشَّبْهُ والشَّبْهُ والشَّبْهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْبَاءٌ. وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ : مَائِلُهُ . وَأَشْبَهْتُ فَلَانًا وَشَابَّهْتُه وَاشْتَبَّهْتُه عَلَيَّ وَتَشَابَهَ الشَّيْئَانِ وَاشْتَبَّهَا: أَشْبَهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: مُشْتَبِّهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِّهِ . وَتَشَبَّهَ فَلَانٌ بِكَذَا. وَالتَّشْبِيهُ: التَّمَثِيلُ. " (3). مما سبق يتضح أنَّ التشبيه مصدرٌ مشتق من الفعل (شَبَّهَ) بالباء المضعفة والتي تعني التمثيل ، وإذا توجهنا إلى التعريف الاصطلاحي للتشبيه نجده لا يبعد عن اللغوي ولا يفارقه .

التشبيه اصطلاحاً:

تكلم أوائل اللغويين على التشبيه في مؤلفاتهم ولعل من المتقدمين من أفرد له باباً كاملاً في مؤلفه مثل المبرد (ت285هـ) الذي قال : " واعلم أن للتشبيه حداً؛ لأن الأشياء تشابه من وجوه، وتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق" (4). ثم قسمه على أربعة أضرب ؛ مفرط ومصيب ومقارب وبعيد ، وعده من أكثر كلام العرب بقوله : " والتشبيه جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد" (5). وساق له الأمثلة الكثيرة من الشعر والنثر تدليلاً على كلامه . وجاء من بعده أهل البلاغة فخصّوا التشبيه بالدراسة والتعريف، فعرفه أبو هلال العسكري (ت395هـ) بقوله : " التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه. وذلك قولك: زيد شديد كالأسد؛ فهذا القول الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة ... ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد؛ مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر... ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو " (6). و وافقه الرأي ابن رشيقي القيرواني (ت456هـ) . وجاء من بعدهم أشهر البلاغيين وشيخهم عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ) فحدّد التشبيه بالقول : " التشبيه أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكماً من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللخجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء" (8). حتى جاء مُقَعَّد علم البيان ومُرسي أركانه على ما يُعرف به الآن أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) فعرفه بالقول: "إن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه" (9). والواضح من هذه التعريفات – وغيرها من التعريفات الكثيرة التي لم تذكر – أن معانيها تدور حول اشتراك طرفي التشبيه (المشبه والمشبّه به) في وصفٍ يجمع بينهما من جهةٍ واحدةٍ أو جهات عدة - وليس الكل – وإلاّ انتفى التشبيه والغاية منه . وفصل الطيبي (ت743هـ) لهذه المعاني بقوله في التشبيه : "هو وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى، وهو يستدعي خمسة أشياء؛ الطرفين ليحصل ، والوجه ليجمع ، والغرض ليصح ، والأحوال ليحسن ، والأداة لتوصل " (10). ففصل بذلك أجزاء و أركان التشبيه كما يأتي :

- (1) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م : 304/2 .
- (2) مقاييس اللغة ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، 1399هـ-1979م : 243/3 .
- (3) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، (د.ط) (د.ت) : 503 /13 .
- (4) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، 1417هـ-1997م : 41 /3 .
- (5) المصدر نفسه : 70/3 .
- (6) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، ت-علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ-1952م : 239 .
- (7) العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيقي القيرواني، ت-محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط5، 1981م : 286/1 .
- (8) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت- محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (د.ط) (د.ت) : 87 .
- (9) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ت- نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م : 439 .
- (10) التبيان في البيان، شرف الدين الطيبي، ت الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1435هـ-2004م : 78 .

(الطرفان): المشبه والمشبه به ؛ وهما الركبان الأساسيان في التشبيه، إما أن يكونا حسيين وذلك في المبصرات والمشموحات والمذوقات والملبوسات والمسموعات قد يركب بعضها في بعض ، وإما أن يكونا عقليين أو حسي وخيالي أو وهمي وحسي أو عكسه أو عقلي وحسي أو عكسه .⁽¹¹⁾ وقد يتعدد أحدهما أو كلاهما في بناء الجملة التشبيهية أو يغيب أحدهما عنها .

(الوجه): وجه الشبه "هو أمر يشترك فيه الطرفان وهو إما واحدٌ حقيقةً أو حكماً أو متعدد" ⁽¹²⁾. وهو الوصف أو المعنى المشترك بين الطرفين والذي يجمع بينهما على مستوى الإدراك الذهني والعقلي . وهذا الأمر إما أن يكون حسيّاً أو عقليّاً أو يكون في حكم الواحد المفرد أو المنتزَع من عدة أمور متفرقة أو مركبة في صورة تمثيلية .

(الغرض): هو الفائدة المرجوة أو الغاية المنشودة من عقد التشبيه بين طرفيه ليصح المقصدُ منه ، وهو في معظمه لأجل المشبه ، فيكون " لبيان حاله... أو أن يكون لبيان مقدار حاله... وإما أن يكون لبيان إمكان وجوده... وإما أن يكون لتقوية شأنه في نفس السامع... وإما أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشويه أو الاستطراف وما شابه ذلك " ⁽¹³⁾ .
وأما كون الغرض عائداً إلى المشبه به " فمرجعه إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه الشبه " ⁽¹⁴⁾ . فالعملية قائمة على إلحاق المشبه بالمشبه به ، كون المشبه به أوضح وأشهر وأتم معرفةً في أذهان الناس – متكلمين ومستمعين -، ولا يعمد إلى التشبيه إلا للمبالغة أو المدح والذم أو الإيضاح والتبيين أو الإيجاز في الكلام .

(الأحوال): وهي كفيات حصول حسن التشبيه وقبحه أو قبوله و رده وهي متعددة بين التفصيل والاجمال ، والمعقول والموهوم ، والنادر والمستطرف ، والبعيد والقريب ، والسليم من الابتدال وعكسه ⁽¹⁵⁾ .
(الأداة): وهي لتوصل بين طرفي التشبيه وتعد المشاركة بينهما، وهي على أنواع ؛ الحروف كمثل : الكاف وكأَنَّ ، والأسماء كمثل : مَثَلٌ و شَبَهٌ ، والأفعال كمثل : شَابَهَ وضارَع وضاهى وغيرها ، فضلاً عن المصدر بتقدير الأداة ⁽¹⁶⁾ . كما في قوله (عَلَّيْكَ) :
(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) [النمل: 88] .
وتتحصل لدينا ثمان مراتب للتشبيه باعتبار حضور أركانها وغيبتها -سابقة الذكر- في القوة والضعف في شدة المبالغة :

وهي: ⁽¹⁷⁾

- 1) ذكر أركانه الأربعة (المشبه والمشبه به وأداة التشبيه والوجه) .
- 2) ترك المشبه وهي كالأولى في عدم القوة .
- 3) ترك أداة التشبيه ، وفيها نوع من قوة .
- 4) ترك المشبه وأداة التشبيه ، وهي كالثالثة في القوة .
- 5) ترك وجه المشبه ، وهي قوية لعموم وجه الشبه وإجماله .
- 6) ترك المشبه و وجه الشبه .
- 7) ترك أداة التشبيه و وجه الشبه ، ويسمى (البليغ) .
- 8) إفراد المشبه به في الذكر ، وهي كالسابعة في قوتها .

يتضح أن أركان التشبيه متساوية في الأهمية وفي حصول التحولات في بنية الجملة التشبيهية بغياب أركانها وحضورها ، وهذه التحولات "ذات مستويات بلاغية ، ومن ثمَّ كان حذف الأداة والوجه أعلى درجات البلاغية، ثم يليه حذف أحدهما ، ثم تأتي مجموعة

⁽¹¹⁾ المصدر السابق: 79-80 ، وينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ، الدكتور محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط2 (د.ت): 142-143.

⁽¹²⁾ المصدر السابق: 81 .

⁽¹³⁾ ينظر: مفتاح العلوم: 448 ، والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2 ، 2010م : 166-167 ، والمثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، ت-أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة مصر، ط1 ، 1960م : 124 ، والتبيان في البيان : 86-87 .

⁽¹⁴⁾ ينظر : مفتاح العلوم : 450 ، و التبيان في البيان : 88 .

⁽¹⁵⁾ ينظر : التبيان في البيان : 89-92 .

⁽¹⁶⁾ ينظر: المصدر نفسه : 94 ، و فن التشبيه ، علي الجندي، مكتبة ومطبعة نهضة مصر، 1952م ، ط1 : 1/ 175 ، والبلاغة العربية قراءة أخرى : 136 ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 1427هـ - 2006م : 174/2 .

⁽¹⁷⁾ ينظر: أسرار البلاغة: 101، والعمدة : 287/2، ومفتاح العلوم : 464 ، والمثل السائر : 396/1 ، والإيضاح : 215، والتبيان في البيان : 95-96، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 176/2 .

التحويلات على درجة واحدة , أي إن البلاغية تعتمد الاختزال أساساً لها بشرط أن يحافظ البناء على تشكيله الأصلي , ثم تتخفف درجة البلاغية مع تهميش البنية والدخول بها إلى مستويات الغموض أو الإبهام⁽¹⁸⁾ .

التشبيه في مقامات الظاهر

أولاً / التشبيه المفرد :

(1) التشبيه البليغ :

ولعلنا نشرع في الحديث من المرتبة السابعة وهي (التشبيه البليغ) الذي " يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه "(19) لكونه يُعدّ أبلغ أنواع التشبيه - بإجماع علماء البلاغة - وأزخرها وروداً في مقامات الظاهر أبي الحسن ومنها قوله في (مقامة البر والعقوق) :

" ولم يلتفت بل قال مُرتجراً :
أنا لها مطية لا أنفر
إذا الركاب ذعرت لا أذعر
ما حملت وأرضعتني أكبر "⁽²⁰⁾

إذ شبه الأعرابي نفسه بالمطية والذابة التي تُركب من دون أداة تشبيه- وليس ذلك إلا للمبالغة في خفض جناحه لأمه وزيادة في الاحسان إليها جزاء وإكراماً واعترافاً بحقها وتحقيق الدّل بين يديها وتحت قدميها تنفيذاً وتطبيقاً لأمر الخالق (ﷻ) في محكم التنزيل : **(وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء: 24]** .

فجاء التشبيه بليغاً من غير أداة زيادة في تحقيق التساوي والاقتران بين الأعرابي الراجز (المشبه) وبين المطية (المشبه به) وكأنهما على قدر مقام واحد في كفتي ميزان يفرّق بينهما بعمود الجار والمجرور (لها) فكان ركنا التشبيه من المبتدأ والخبر المفروق بالجار والمجرور (للتخصيص والاهتمام والعناية), ولسان حاله يقول : أنا لها فقط وليس لغيرها كالمطية المطيعة الهادئة المتقادة لأوامر ممتطيها , فأوجزها واختزلها بكلماتٍ قصيرات , ذلك " أن التشبيه المضمّر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز ; أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداة , فيكون هو إياه ... وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه "(21) .

ومن الأمثلة على البليغ قوله في (مقامة سروان المَوْسَوْس عبد الله بن سليمان المدني) :

"عليكَ أَنْ تَحْرِصَ عَلَى لُغَتِكَ حِرْصَكَ عَلَى عَرِضِكَ وَمَالِكَ وَوَلَدِكَ وَبَيْتِكَ وَبَلَدِكَ .."⁽²²⁾ .

فجاء الكاتب بالتشبيه بليغاً والمشبّه به مصدرأ بتقدير الأداة المضاف (حرصك) لتحقيق المبالغة في التشبيه بين طرفيه (المشبه والمشبّه به) والصاقهما ببعضهما بلا فاصل الأداة , وإعطاء صورة المشاركة والتماثل بينهما , وجعل الحرص على اللغة العربية مقروناً بالحرص على حُرُمَات المسلم وعظائم اموره التي تستوجب بذل الغالي والنفيس في الذود عنها وحفظها من المساس كالعرض والأرض والأهل والمال التي نصّ عليها الحديث الصحيح : **" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ , وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ , وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ , وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ "**⁽²³⁾ .

وإنزال الحرص على اللغة منزلة الحرص على حُرُمَات المرء المسلم بلا زيادة أو نقصان , وهذا التشبيه عند ابن الأثير "من أحسن ما استعمل في باب التشبيه"⁽²⁴⁾ . وعند مجيئه مصدرياً مطلقاً من الفعل فيختزل المعاني ويوجز الألفاظ بشكلٍ مقتضبٍ مستحسن , بلا أداة تشبيه ولا وجه شبه مطلقاً الخيال والذهن لتشكيله بما يناسب كلا الطرفين ويلائم سياقهما .

ومن أمثلة البليغ أيضاً قوله في (مقامة المال والنسوان): **" فقال له : لقد طرق بابكم في عمق الليل طارقٌ , وراح يصيحُ بصوت عالٍ أشد كراهة من نهيق الناهق "**⁽²⁵⁾ . وهي تتحدث عن معاناة أهل الموصل وما حلّ بها إبّان سطوة عصابة مارقة عليها , فتسلطوا وأذاقوا أهلها ألواناً من العذاب والتكيل تحت مسمياتٍ دينية لإزاحة من يخالفهم الرأي والمنهج .

فعمد الكاتب إلى وصفهم وسلوكياتهم وطبائعهم عند سلب أموال الخلق ومقدّراتهم بالضجيج والصياح المتعالي مُشبّهاً أصواتهم بـ (صوت الناهق) صيغة الفاعل من المصدر (نهيق) وهو صوت الحمار , فجاء بصيغة التفضيل (أفعل) في كلمة (أشد) المضافة إلى الكراهة في معرض التشويه والتقبيح من أصوات هؤلاء نفر إلى أنكر أصوات خلائق الله (ﷻ) لقوله :

(18) البلاغة العربية قراءة أخرى : 152 .

(19) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 180/2 .

(20) مقامات الظاهر أبي الحسن- دراسة ونصوص , الدكتور عبد الله فتحي الظاهر , دار وأشرقت للطباعة والنشر -الموصل, ط1 2012م, 101 , وردت الحادثة في كتاب المحاسن والمساوئ , إبراهيم بن محمد البيهقي (ت نحو ٣٢٠هـ), المكتبة الشاملة : 235 .

(21) المثل السائر : 122/2 .

(22) مقامات الظاهر أبي الحسن : 128 .

(23) سنن الترمذي, تحقيق أحمد محمد شاكر , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر , ط2 , ١٣٩٥ هـ-1975م , رقم

الحديث 1421 : 30/4 .

(24) المثل السائر : 125/2 .

(25) مقامات الظاهر أبي الحسن : 178 .

(وَأَقْصَدَ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [القمان: 19] , فجاء التشبيه بليغاً بلا أداة ولا وجه شبه ولكنه حسب رأي ابن الأثير على تقدير لفظة (أفعل) :

" فإن لم تُقَدَّر فيه لفظة (أفعل) فليس بتشبيه بليغ " (26). أي على تقدير (كصوت أشد كراهة في العلو والفيح من نهيق الناهق) في التشبيه المفصل الأركان , فكان التشبيه للمبالغة في الذم والتشنيع والتسفيه على المتعاطي (الممارس) لطبائع البهائم الحسية كالصوت السمح المتعالي فضلاً عن سماجة الطبائع الخلقية الأخرى كالبلادة والجهل وقبح المنطق إلى جانب علو الصوت , وقديماً قالت العرب : " أجهل من حمار " (27). مثلاً للجاهل من الناس ولمن غلب عليه الجهل والبلادة وقبح الصوت .

(2) التشبيه المؤكّد:

أورد الكاتب عبارة "وكانت الموصل بين المدن كبش الفداء" (28) , في (المقامة الموصلية) عند حديثه عن المدينة وما حلّ فيها من دمار وخراب وقتل وتهجير وسرقات وما أضر بأهلها من أنواع البلاء وقد وظّفت تعبير (كبش الفداء) الذي يستعمل في كلام العامة والخاصة وما فيه من تصوير بياني , إذ أطلق الموصل وأراد أهلها حملاً على المجاز العقلي بعلاقة المحلية ؛ لأنّ ما حدث من ويلاتٍ لامست أهلها وأثّرت فيهم , ثم أن التعبير كله تشبيه مؤكّد مجملٌ ذكر فيه المشبه (الموصل) والمشبه به (كبش فداء) حذف الأداة ووجه الشبه بينهما أنهما ضحية ولا ذنب لهم فيما خُطط لهم , و (كبش الفداء) مصطلحٌ قديم أساسه ديني وهو تقديم كبش فداء لتخليص المجتمع من الذنوب , إذ كان اليهود قديماً يذبحون (الديك) على رأس المذنب ليتخلص من ذنوبه , وأيضاً سيدنا إسماعيل أفندي بكيش عظيم , أما علمياً ظاهرة كبش الفداء درسها لأول مرة عالم النفس الأمريكي (جون دولاورد) عام ١٩٦١ حسب النظرية يتم انتقاء طرف معين لمعاملته معاملة سلبية غير مستحقة وتبدأ الجماعة الضالة في إسقاط وتفرغ المشاعر والأفكار غير المرغوب فيها على الضحية (كبش فداء), فالضعيف يبدأ بإسقاط ضعفه على الضحية والحقود والحسود يفرغ مشاعره العدائية على الضحية, والناقص يسقط معاناته على الضحية والفرجسي والمغرور يمارس طوقسه على الضحية, ويصبح الضحية يظهر للناس على أنه مثير للمشاكل ومتعب وغير متعاون وأناني ويتم الحكم عليه بالتخلص منه! (29).

وغالبا المختار (الضحية ... كبش الفداء) يكون شخصاً طيباً ومسالماً ونقياً ومجتهداً ولا يشارك الآخرين مؤامراتهم فيصبح خطراً عليهم؛ لأنه كلما نظروا إليه أحسوا بضعف دفين تجاهه, يقول رينيه جيرارد (عالم الأنثروبولوجيا الفلسفية) : "عندما يصبح المجتمع معرضاً للخطر بسبب صراع الرغبات تظهر آلية كبش الفداء فيشار إلى شخصٍ واحدٍ بأصابع الاتهام؛ لكونه السبب في المشكلة, وتقصيه الجماعة أو تقتله ويكون هذا الشخص هو كبش الفداء" (30). وهذا ينطبق على مدينة الموصل. هل تساءل أحدٌ لماذا "كبش" فداء وليس "ثعلب" أو "ذنب" أو "قطعة" فداء؟ الكبش لا يمتلك إمكانيات ذهنية وعقلية عالية, ويقال : إن تدريب الكبش على أي أمر هو من المستحيلات, وأن حياته تنتهي بانتهاء فعالية وحدث الفداء به , وبعد فهمنا للنواحي العقلية والذهنية للكبش, لتحلل المعطيات وأطراف العلاقة, فكبش الفداء هو طرف ضمن علاقة تجمع ثلاثة أطراف, الكبش بنفسه, و"صاحب الكبش" وهو المستفيد المباشر أو غير المباشر مما يحدث, وصاحب سلطة أو قرار يمكنه تحقيق الفائدة التي يرغب بها صاحب الكبش. الطرفان الأخيران قد يدركان ما يحدث وتتم حياكة الأحداث بدقة من قبلهما وصولاً للفداء بالكبش الذي لا يدرك موقعه في هذه العلاقة و"ينقاجاً" بما يحدث.

وتمضي أطراف العلاقة الأخرى في طريقها بينما ينعدم أي وجود للكبش بعد الفداء به ويذوي بعيداً , قد تؤثر سيكولوجية كبش الفداء في الجماعات, وتحدث عندما تواجه الجماعات والأمم نتائج سيئة نتيجة قيام أفراد أو حكومات باتخاذ إجراءات أو التسويق لسياسات , مع تصويرها أنها صحيحة وصائبة ؛ لتثبت الأحداث لاحقاً خطأها أو كارتيتها , مع تحمل الجماعات والأمم العواقب اللاحقة , فقد أحس كل رجل وامرأة في تلكم الدول أنه أو أنها كانوا "كبش فداء" ولم يكن لهم أي ذنب فيما حدث .

(3) التشبيه المرسل المجمل :

ومن أمثلته ما جاء في (مقامة أمنيّات أبي البقاء الراجي ساعة احتضاره) وهو يصف مشهد الدهشة في حضور جماعة من الناس حادثة تكلم رجلٍ بعد احتضاره ولفظ أنفاسه الأخيرة بالتشهُد , إذ يقول : " ولقد والله نظرتُ في وجوه النَّاسِ تلكَ الساعة ,

(26) المثل السائر : 129/2 .

(27) جمهرة الأمثال , أبو هلال العسكري , رت- أحمد عبد السلام ومحمد سعيد بسيوني زغلول , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , 1408هـ-1988م : 270 , و مجمع الأمثال , الميداني , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , مطبعة السنة المحمدية , 1374هـ-1955م : 189 .

(28) مقامات الظاهر أبي الحسن : 21 .

(29) ينظر : كبش الفداء , رينيه جيرارد, ترجمة منار رشيدى أنور , دار الشرقيات , بيروت , (د.ت) : 65 .

(30) كبش الفداء : 89 .

فوجدتهم مشدوهين كمن ينتظر قيام الساعة....⁽³¹⁾ فشبه حال دهشتهم وتحيرهم والوجوم الذي خيم عليهم تلك الساعة إبان الحادثة مستعماً بحرف الكاف بحال المرتقب الوجل من أهوال يوم الحساب وشدة وقعها على النفوس، وأثر الخشوع والرغبة في روعهم وكأنها صورة من صور يوم القيامة والبعث والنشور، وهي غيبات لا يعلم حقيقتها إلا الله (ﷻ). فجاءت كلمتا (قيام الساعة) إشارة إلى يوم الحساب وأهواله التي توعد الله (ﷻ) بها عباده المقصرين والعاصين والضالين والكافرين في سور عديدة من القرآن الكريم وردت فيها لفظة الساعة وفُترت بكثير من أهوال ذلك اليوم كالبعثة والحسرة والعذاب والإشفاق وزلزلة الساعة (الشيء العظيم)، والبعث من القبور وإبلاس المجرمين والجزع والتقريق بين أهل والعشيرة، وأشد وغلظ العذاب، فضلاً عن التحذير من الأهوال والعلامات الممهدة لذلك اليوم، لقوله (ﷻ):

(يَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ) [القمر: 46].

إذ أبقى وجه الشبه دون ذكر متروكاً للمتلقى يشكله في مخيلته وبذكائه كيف يشاء من الصور الأنفة التي يتصورها من (قيام الساعة) فكان التشبيه مجملاً واسع المجال للقارئ يجمع وجه الشبه بين طرفيه؛ المشبه (مشدوهين)، والمشبّه به (من ينتظر قيام الساعة) من الصور المقرونة بقيام الساعة وبما تسعفه به مخيلته من صور يوم الحساب في القرآن الكريم أو حتى في السنة النبوية المطهرة.

ومن أمثلة هذا التشبيه أيضاً ما استعمله الكاتب في (مقامة مملكة الغابة) التي تتحدث عن سبع الغابة (الطيب) الذي فسدت جُل رعيته من الحيوانات وخاصته من المقربين الذين راحوا يتآمرون عليه كالضباع والكلاب الجرباء، غير أن الحمار خلّصه من كيدهم، فيقول: "ورأف الحمار بالملك لما هو فيه من ابتلاء فلم ينظر إليه نظر ازدراء لأنه علم أن الملك قد فسدت بطانته فهو لذلك كمن غص بالماء...."⁽³²⁾.

فجاء التشبيه مرسلاً بالحرف (كاف) مشبهاً حال الأسد الذي غدر به أهل خاصته وبطانته المقربين الذين يفترض بهم الإخلاص والصدق والوفاء والتفاني في خدمة الملك وحمايته من الغدر والخيانة والتآمر فكانوا أول من سعى للإطاحة بملكه وقتله والتآمر عليه بحال الذي يغص بالماء ويشرق ويختنق بأسهل وأسوغ رزق يطعمه الخلائق (الماء) الذي يرحى بشربه الارتواء وبلع الطعام وإنزال ما يُغص به من أكل، الماء الذي لا يحتاج إلى طبخ وإعداد أو مضغ وهضم، بل هو المساعد والمسوّغ. وجاء الفعل (غص) مبنياً للمجهول للإيحاء أن سبب الاختناق ليس مبعثه المغصوص (الملك)، وإنما مصدره بطانة السوء من مقربيه وحاشيته (أهل التآمر والمكر والغدر)، فتحول الماء الذي هو رمز الحياة إلى أول مسبب لزوالتها وإنهائها، فكان التشبيه لغصة حال الملك (المعنوية) مع بطانته المتآمرة الخائنة كغصة الماء (الحسية) الملموسة لشارب الماء والتي لا علاج لها ولا دواء إلا الإمساك عن المأكّل والمشرب، وكذلك نجاة الملك من غصة حاله لا تكون إلا بالانقطاع والتخلي عن سلطانه لغيره وهجر مملكته الموروثة عن سالفه للخلاص من سوء المصير الذي كان ينتظره. ولهذا الشأن أشعار كثيرة وردت في موروثنا الأدبي عن الغصة في المأكّل والمشرب ولعل أولها ما جاء عند الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي في قوله:⁽³³⁾

لو بغير الماء حلقي شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وأقربها لهذا التشبيه قول الشاعر العباسي أبي القاسم نصر بن أحد البصري الخبز أرزي (ت327هـ):⁽³⁴⁾ إلى الماء يسعى من يغص بأكله
فقل: أين يسعى من يغص بماء

ومقولة الكاتب التشبيهية: "قد فسدت بطانته فهو لذلك كمن غص بالماء" مقتبسة من المثل العربي القائل: "من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء"⁽³⁵⁾، جاء به تضميناً وتحلية لنص مقامته وتوثيقاً لفكرتها وتدعيماً وترسيخاً لصحتها، فضلاً عن إحياء هذه الأمثال التي تكاد أن تترك وتندثر وتُسى فلا تُستعمل.

ومن أمثلة الكاتب لاستعماله التشبيه المجل من (مقامة جاحة الكورونا)، قوله: "حتّى وصلوا إلى التسليم بما قدر الله من أن أباهم كان ضمن من ابتلعهم موجات المياه، التي كانت كالجبال، وكانت الأمطار تنهمر كأفواه القلال"⁽³⁶⁾.

(31) مقامات الظاهر أبي الحسن : 122 .

(32) مقامات الظاهر أبي الحسن : 149 .

(33) ديوان عدي بن زيد العبادي، ت محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد 1965م : 93 .

(34) شعر الخبز أرزي في المظان، محمد قاسم مصطفى وسناء طاهر محمد، مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة مجلد 39- الجزء 2-85، شعبان 1416 / يناير 1996، وينظر ترجمته نيّمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م : 248/2، و وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1398هـ-1978م : 376/5، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993 : 2745/6 .

(35) ورد في جمهرة الأمثال على لسان أكرم بن صيفي : 401، وينظر مجمع الأمثال، ت 4113 : 317 .

(36) مقامات الظاهر أبي الحسن : 180 .

إذ جاء بالمشبه (موجات المياه) وشبهها بـ (الجال) بأداة التشبيه (الكاف) وترك وجه الشبه بين طرفي التشبيه يقدّره المتلقي ويتخيله كيف يشاء من خلال إجابة الفكر والذهن بتصور عظمة هذه الأمواج وعلوها وشدة قوتها مقارنةً بالجال_ التي هي أوتاد الأرض وعمادها التي تنكئ وتقوم عليها_ لتكوين الفكرة عن عظمة الأمواج بقوتها وشدة تأثيرها فيما تحمله من سفن إذا ما هاجت وتلاطمت وقذفت بأعمالها في العواصف العاتية والأمطار الغزيرة , وهذا ما شكّله الصورة بعدها بقوله: "وكانت الأمطار تنهمر... " في رسم مشهد رهيب عظيم للخطر المحيط والمحذق بالسفن وراكبيها في تصوير أهوال اجتماع تقاذف الأمواج من تحتها, وترامي سواكب السماء المنهمرة من فوقها, في تشبيه مجمل آخر بقوله: "كأفواه القلال" والقلال جمع قلة: "وهي الجرة العظيمة والكوز الصغير وتجمع أيضاً قُلل , وقلة كل شيء رأسه وأعلىه"⁽³⁷⁾.

فجاء المشبه به في صيغة الجمع (أفواه القلال) ليعطي الكثرة والمبالغة بما ينهمر من مياه الأمطار_ والمعروف أنّ القلال والأنية تسكب الماء وتفيضه ولا تقطره أو ترده رذاً فتترك ذكر وجه الشبه ليحقق سعة التصور عند المتلقي وفتح باب الخيال على مصراعيه لتصور كمية المياه الهائلة من السماء أو سرعتها وغزارتها , ولعل الكاتب اقتبس التشبيهين الأنفين من صور الطوفان العظيم الذي ورد ذكره في عدة آيات مباركات في القرآن الكريم_ فضلاً عن الشرائع السابقة للإسلام_ إذ أتى بالأول من قوله (سجدة): (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) [هود: 42] .

فاستعمل ألفاظ "موجات , الجبال" في رسم صورة التشبيه الأول كما هي في الآية الكريمة , وأتى بالثاني من قوله (سجدة): (فَفَتْحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) [القمر: 11] .

فاستعمل الفعل (تنهمر) في رسم التشبيه الثاني من صيغة الفاعل (منهمر) في الآية الكريمة مع لفظة (السماء) لتشكيل صورة المشهد العاصف وتلاطم الأمواج العالية مع انهيار المياه الغزيرة , في قصة نبي الله نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) .

(4) التشبيه المرسل المفصل :

ومنه ما جاء في (المقامة الموصلية) في قوله: "ولم نجد لجامع المصفي أي أثر وكأنه كان في قصص من غير"⁽³⁸⁾ إذ كان الكاتب مسترسلاً في تصوير ما حصل للمدينة من دمار , حتى بيوت الله لم تسلم من تلك الأيدي التي عبثت بها, واختيار الكاتب لجامع المصفي لم يأت اعتباطاً فهو أول جامع بني في المدينة وثاني جامع في العراق والخامس على مستوى العالم الإسلامي بناء عتبة بن فرقد العلمي سنة 16هـ , وسمي بـ(المصفي) نسبة إلى مجده الحاج محمد مصفي الذهب سنة 1225هـ , وفي ذلك إشارة إلى تاريخ هذه المدينة وطابعها الديني , ففي تشبيه الجامع بقصص الغابرين تشبيه مرسل مفصل جمع أركان التشبيه: المشبه (الجامع) والأداة (كأنه) والمشبه به (القصص) , وقد استعمل الكاتب أداة التشبيه (كأن) لما فيه من دلالة التشبيه والتوكيد فهو شبه لنا وأكد ما حصل لهذا الجامع من دمار حتى محبت آثاره, فالجامع أصبح حاله كالحقاص التي تُروى وتُحكي للآخرين الذين لم يشهدوا وقائعها ولم يعاصروها , يقال "عبر كل شيء: باقيه"⁽³⁹⁾ , "وعبر الشيء يغبر أي بقي والغابر الباقي والغابر الماضي"⁽⁴⁰⁾ , فينداولها الناس في أحاديثهم فكم صلى في ذلك الجامع أناس منذ تشييده وكم خرج علماء وكم وكم ... ولم يبق من هذا الجامع سوى اسمه وتاريخه أما معالمه فقد دُثرت .

ومن أمثلة استعماله التشبيه المرسل المفصل قوله في (مقامة بيت المقدس والعهد العبرية) مستشهداً بأبيات شعرية تحكي جراحات الأقصى:⁽⁴¹⁾

سَنَمُضِي أَخِي لَا نَهَابُ الْمَنَايَا لَا نَأْسَا سَبِيلَ السَّبِيلِ الرَّشِيدِ
نُجَاهِدُ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ وَنَمُضِي كَسِيلِ زَحْفٍ شَدِيدِ

فشبه الشاعر مُضِي المجاهدين (المشبه) في سبيل الله لتحرير الأقصى بأداة (الكاف) وجاء السيل (مشبهاً به) , والسيل هو " الماء الكثير السائل , وجمعه سيول ... والعرب تقول : سال بهم السيل وجاش بنا البحر أي وقعوا في أمرٍ شديد ووقعنا نحن في أشد منه "⁽⁴²⁾ . فجريان السيل معروف أنه شديد جارٍ في حركته وسيره يقتلع الصخور ويهدم الأسوار والسدود , وليس أشهر من قول امرئ القيس : "كجلود صخر حطه السيل من عل" التي ردها العديد من بعده لما في السيل من شدة وقوة تهللك الحرث والنسل وتهدم البنين , وأتى بوجه الشبه (زحف شديد) , والزحف هو أحد أسماء الجيش لحركته ومصدر الفعل زَحَفَ : أي مشى أصل الزحف للطفل قبل أن يقوم⁽⁴³⁾ . فجاء الزحف يجمع بين حركة السيل في سيره وبين حركة الجيش عند اللقاء في الحروب وشدة المسير . ومما أثير في شعر الأولين في هذا الجمع بين الحركتين قول عنترة العبسي:⁽⁴⁴⁾

(37) العين : 425/3 . لسان العرب : 565/11 .

(38) مقامات الظاهر أبي الحسن : 23 .

(39) جمهرة اللغة , ابن دريد , تحقيق رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين , بيروت , ط1 , 1987 : 1/320 .

(40) لسان العرب : 3/5 .

(41) مقامات الظاهر أبي الحسن : 170 .

(42) لسان العرب : 11/351 , و ورد المثل : سال بهم السيل ... في مجمع الأمثال للميداني : 345 .

(43) ينظر لسان العرب : 9/129 .

(44) شرح ديوان عنترة , الخطيب التبريزي , وضع هوامشه مجيد طراد , دار الكتاب العربي , بيروت , ط1 , 1992م : 45-46 .

نُزَاحِفُ زَحْفاً أَوْ نُلَاقِي كَتِيبَةً تَطَاعِنَا أَوْ يُذَعِّرُ السَّرْحُ صَائِحُ
فَلَمَّا التَقِينَا بِالْجِفَارِ تَضَعُضُوا وَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَسَالِحُ
وَسَارَتْ رِجَالٌ نَحْوَ أُخْرَى عَلَيْهِمُ الدَّ حديد كما تَمْشِي الْجَمَالُ الدَّوَالِحُ
إِذَا مَا مَشَوْا فِي السَّابِغَاتِ حَسِبَتْهُمْ سَيُولَا وَقَدْ سَالَتْ بِهِنَّ الْأَبَاطِحُ

واستعمال "السيل" مشبهاً به في أبيات المقامة جاء من مقصدين؛ الأول ما ذكر من القوة والشدة والسرعة والخوف والرهبة والدمار على العدى حين المعركة، والآخر أن السيل يترك الأرض بعد مروره مروية خصباً معمورة تزدهو بالحياة والنبات والمرعى في مجاريه ووديانه التي مرّ بها فيعمّ الخير بعده والنفع. كذلك المجاهد الصادق في سبيل الله يسير ويخرج لسوح الجهاد إحقاقاً للحق ودفعاً للباطل والظلم، وإعماراً للأرض وصوناً للعباد من التظالم، ونشراً للعدل والخير والسلام، فكلاهما يعقبه الخير والنفع.

(5) التشبيه محذوف المشبه به :

ولعل آخر ما يطالعنا به الكاتب من أنواع تشبيه المفرد بالمفرد التي استعملها في مقاماته، هو أن يأتي بأداة التشبيه (كأن) ويردّها بالطرف الأول (المشبه)، ثم يحجم عن التصريح بالطرف الثاني (المشبه به)، وإنما أتى على ذكر شيء من لوازمه وخواصه الدالة عليه. وهذا النوع ليس موجوداً في مراتب التشبيه الثماني التي ذكرها البلاغيون في كتبهم. وهو تشبيه يعطي الأذهان تحفيزاً ودافعاً للتفكير والتخيل لأجل اختيار (مشبه به) مناسب وتقديره ليكون ملائماً لما ورد من وصف له. ومن هذا الاستعمال جاء منه مثالان، الأول في استشهاده شعراً لأبي نواس (45).

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنك ما تظنّ بالموت حقاً

فجاء المشبه (ضمير المخاطب) في (كأنك) وأغفل ذكر المشبه به مكتفياً بذكر شيء من لوازمه الدالة عليه (ما تظنّ بالموت)، فيتبيح للفارئ السعة وفتح المجال في تصوير وتخيل المشبه به فيحتمل تقدير أن يقال للذي لا يؤمن بالموت ويوقن به: كأنك منكرٌ ملحدٌ كفورٌ ما تظنّ بالموت.

أما المثال الثاني فجاء في (مقامة هوان وإباء) في قوله: "وكانّ الأيام القليلات على كرها طحطحت، فصرّ عته وأذلّته،..." (46). في معرض وصف شابٍ حزينٍ جارٍ عليه أهل زمانه وأخذته الدنيا يمنةً ويسرة، فاستعمل التشبيه بأداة (كأن) وأتبعها بالمشبه (الأيام القليلات) ولم يأت بعده بالمشبه به، وإنما اكتفى بذكر ما يدل عليه من لوازم أو كنى، إذ جاء بـ (على كرها) والكر: عطفت وتردد ورجوع على الشيء، يقال: على العدو كراً، ورجلٌ كَرَّارٌ ومكْرٌ (47). فصارت تعني معاودة الأيام وتعاقبها عليه بكرورها وأعمالها وأثقالها وصروفها. و(طحطته) الطحطحة: هي التفرق والإهلاك والتبديد والكسر والغلبة (48). فصار مفهوماً أن الأيام على تكرارها ومعاودتها بالرجوع والتعاقب عليه بكل كروبها وصروفها وأثقالها قد فرقت أمره وأهلكته وكسرت إرادته في مواصلة الحياة بعزيمة وإصرار. لكثرة ما نابها من مصائب الأيام، وقديماً قال الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي: (49)

إنما الدهرُ لَينٌ ونطوحٌ يترك العظمَ واهياً مكسوراً
فاسأل الناس عن آل قبيس طحطخ الدهرُ قبلهم سابورا

فجاءت كلمات (الكر و الطحطحة) في أيام الشاب القليلات لتشي بال تكرار والمعاودة المؤدية إلى الكسر والتبديد والإهلاك وكأنها (مقامع أو مطارق) لمعاودتها حركة الضرب وتكرار الطرق لتبديد آماله في الحياة وكسر إرادته فيها مما جعل منه ذليلاً صريعاً جزاء صروفها عليه، وقد استعمل الكاتب أداة التشبيه (كأن) التي أفادت التأكيد على الحالة التي مر بها الشاب حتى أوصلته إلى ما هو عليه إلى جانب إفادتها للتشبيه.

ثانياً / التشبيه المتعدد:

(45) مقامات الظاهر أبي الحسن: 71، ديوان أبي نواس برواية الصولي، تـ د بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ط 1، 2010م: 715.

(46) المصدر السابق: 139.

(47) ينظر: لسان العرب: 135/5، ومقاييس اللغة: 126/5.

(48) ينظر: لسان العرب: 528/2، ومقاييس اللغة: 408/3.

(49) الديوان: 64.

الأكثر في التشبيه أن يأتي مفرد الطرفين (المشبه والمشبّه به) كما سبق من أمثلة وهو الأصل. وقد يتعدد أحد الطرفين أو كلاهما مع اختلاف في اقترانهما مع بعض أو تفرقهما، أي: المشبه مع المشبه به، أو مشبه مع مشبه ومشبّه به مع مشبه به وهكذا، فنتج عن ذلك أنواع آخر من التشبيه مبنية على تعدد طرفي التشبيه أو أحدهما. إذ استعمل الظاهر في مقاماته ثلاثة منها:

(1) تشبيه الجمع:

وهو أن يتعدد المشبه به دون تعدد المشبه⁽⁵⁰⁾. ومن ذلك قوله في (المقامة الموصلية):

"وَرَحَلَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَلَدِ الْمَكْنُوبِ، إِذَا بِهِ يَنْتُنْ أَنْيْنَ الرَّجُلِ الْمَفُودِ، وَالْعَاشِقِ الْمَعْمُودِ"⁽⁵¹⁾.

فهذه المقامة تناولت الأحداث التي مرت بها المدينة في عام ٢٠١٤ ودخول العصابات التي أنهكتها فأصبحت بلدة منكوبة بعد العمليات العسكرية فحل بها الدمار والخراب وقتل من الناس الأبرياء ما قتل، فجاء الكاتب يصور لنا تلك الأحداث التي مرت بالمدينة على لسان رجل قد عاد إليها وقد تغير فيها كل شيء بسبب الدمار والحرب وإذ يستمع إلى رجل ينن أنين المفود فقد شبه أنينه ذلك بأنين الذي أصاب فؤاده الوجع والحرقة، "قال الخليل: تقول: أَنَّ الرَّجُلَ يَنْنُ أَنْيْنًا وَأَنَّهُ وَأَنَّ"⁽⁵²⁾، "وذلك صوته بتوجع"⁽⁵³⁾. ومفود اسم مفعول وهو الذي أصيب فؤاده بوجع. فالتشبيه هنا تشبيه بليغ حذف أداته ووجه الشبه (أي ينن كأنين الرجل المفود) من شدة الحرقة التي أصابته، وذكر الرجل في هذا التشبيه له دلالة، فالرجل يتصف بالجلد والتصبر ولا يظهر ما في داخله ولكن لهول الأمر وعظم المصيبة التي حلت في المدينة جعلته يفقد صبره وحلمه ويكي بكاءً شديداً له أنين وأزيز، ثم جاء بتشبيه آخر (وكالعاشق المعمود) فصار التشبيه تشبيه الجمع لتعدد المشبه دون المشبه به. "الرَّجُلُ الْمَعْمُودُ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ مِنْ مَرَضِهِ حَتَّى يُعَمَدَ مِنْ جَوَانِبِهِ بِالْوَسَائِدِ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْقَلْبُ الْعَمِيدُ، وَهُوَ الْمَعْمُودُ الْمَشْعُوفُ الَّذِي هَذِهِ الْعَشَقُ وَكَسَرَهُ، وَصَارَ كَالشَّيْءِ عُمَدَ بِشَيْءٍ"⁽⁵⁴⁾، وقيل المعمود الذي أصيب عمود قلبه وهو وسطه بالحب⁽⁵⁵⁾.

وكذلك ما جاء في (المقامة الخمرية) في قوله: "فَدَارَتْ الْخَمْرُ فِي رَأْسِهِ، وَفَقَدَ صَوَابَهُ وَاخْتَلَطَتِ الْأُمُورُ فِي حِسِّهِ، فَغَالَتْ لُبُّهُ، وَفَقَدَ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، لِيَنْقُضَ عَلَى الْمَرْأَةِ كَالْوَحْشِ الْكَاسِرِ وَالسَّكْرِ الْمَاخِرِ"⁽⁵⁶⁾.

في معرض سرده للقصة التي وردت في الحديث الشريف المروي مرفوعاً "عن عثمان رضي الله عنه قال: اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فَعَلَّقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ ..."^(*).

إذ بدأ الكاتب بوصف العابد الزاهد التقى الذي خُير مجبراً على إحدى ثلاث كبائر، فأخذ بأهونها في نظره احتساء الخمر التي أخذت عقله وسلبته لُبّه ورشاده ونزعت سلطانه عن قياد أمره، فتحول جزاء تأثيرها إلى تعاطي الكبيرة الثانية (الزنى)، فمهد الكاتب باستعمال الفعل (لينقض) وهو من أفعال الوحوش الضارية على فرائسها، فأوحى هنا بأن فاعله ما هو إلا حيوان متوحش يهاجم فريسته لإشباع جوعته أو سد حاجته، ممهداً بذلك للتشبيه بعده (كالوحش الكاسر) من الأداة والمشبه به مع صفته، فجاء المشبه به في معرض التشبيه والتقبيح لمرتكب كبيرة شرب الخمر وآثارها السلبية في الفرد والمجتمع من فقدان التحكم في السلوك والسيطرة على الغرائز والشهوات، وغياب العقل والتفكير السليم، فتُحِيلُ متعاطيها إلى مخلوق أشبه بالحيوان منه بالإنسان تُسَيِّرُهُ الغرائز وتسطو عليه الشهوات وتخرجه من صفات الأدمية والأخلاق الإنسانية.

وأُتبع المشبه به بصفة (الكاسر) ليزيد من تشويه قبحه وبشاعة فعلته لما في الصفة من ارتباط بمعاني الكسر والتهشيم للعظام والتمزيق لأشلاء الأجساد (في شرايع الغاب)، إلى جانب كسر روابط العرض والشرف والمروءة وتهتك أستار الحياء والعفة (في شرايع البشر)، فجاء التشبيه مجملاً من دون قيد وجه الشبه ليترك عقل المتلقي يستجلب كل ما في المخيلة من صور الافتراس بعنفها وهمجيتها الدموية المتوحشة عند الدواب، وترسم مشاهد لا محدودة من صور اغتيال المروءة والحياء والحشمة في الإنسان فرداً ومجتمعاً.

ثم عطف على تشبيه آخر فجاء بالمشبه به الثاني (السكر) وهي صيغة مبالغة لمتعاطي المسكرات من الخمر المدمن لها ليُعيدنا أولاً إلى حقيقة الجاني الأدمية من الصورة الأولى (الوحش الكاسر) وليبين لنا ثانياً سقوط مروءة هذا العابد الزاهد باقتراحه أخبت الكبائر وأما كما وُصِفَتْ في الحديث الشريف، وكأنها تلذ الكبائر الآخر من رحم الوقوع فيها، ثم أتى على وصف السكر

(50) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 2 / 188، وفن التشبيه: 2 / 128.

(51) مقامات الظاهر أبي الحسن: 22.

(52) العين: 398 / 8.

(53) مقاييس اللغة: 31 / 1.

(54) المصدر السابق: 138 / 4.

(55) معجز أحمد (شرح لديوان المتنبي)، أبو علاء المعري (المكتبة الشاملة): 15.

(56) مقامات الظاهر أبي الحسن: 70.

(*) هو مقتبس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "«عن عثمان رضي الله عنه قال: اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فَعَلَّقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَنُطْلِقُ مَعَ جَارِيَتِنَا فَطَفَقَتْ كَلِمًا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غَلَامٌ، وَبَاطِيَةٌ خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِنَقْعِ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرِبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغَلَامَ، قَالَ: فَاسْقِنِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي! فَلَمْ يَزِدْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ. فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ، إِلَّا لِيُوشِكَ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ» صَحِيحُ سَنَنِ النَّسَائِيِّ، صَحْحُ أَحَادِيثِهِ: مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ، مَكْتَبُ التَّرْبِيَةِ الْعَرَبِيِّ لِدَوْلِ الْخَلِيجِ - الرِّيَاضِ، ١٤٠٩ هـ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 5236 / 3 / 1146.

بـ(الماخر) وهو صيغة الفاعل من الفعل مَخَرَ: "مَخَرَتِ السَّفِينَةُ تَمَحَّرَ وَتَمَحَّرَ مَخَرًا وَمُحَوَّرًا: جَرَتْ تَشَقُّ الْمَاءِ مَعَ صَوْتٍ" (57), بدليل قوله (ﷺ):

(وَتَرَى الْفَلَكَ مُوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [النحل: 14]. فالسكير قد أحدث بفعلته شقاً في حياته وفي مجتمعه, ولعل الكاتب قصد (الماخور): "وَهُوَ مَجْلِسُ الرِّبِيَّةِ وَمَجْمَعُ أَهْلِ الْفُسْقى وَالْفَسَادِ وَبُيُوتِ الْحَمَّارِينَ... وَبَيْتُ الرِّبِيَّةِ، وَهُوَ أَيْضاً الرَّجُلُ الَّذِي يَلِي ذَلِكَ الْبَيْتَ وَيَقُودُ إِلَيْهِ" (58), فعدل إلى استعمال (الماخر) من باب المقاربة في اللفظ والجذر اللغوي بين كلتا الصفتين ومن باب مقاربة ومطابقة السجع والجناس غير التام في سياق نص المقامة لكلمة (الكاسر) قبلها, فتشكل عندنا تشبيه الجمع بمشبه واحد وتعدّد في المشبه به.

(2) التشبيه المفروق:

وهو ما كانت فيه أطرافه مقرونةً إلى بعضها "فيأتي بالمشبه والمشبه به واحداً بعد الآخر" (59) أي يتعدد طرفا التشبيه ولكن يقرن كل مشبه إلى مشبه به على حدة.

ومن أمثلة استعمال الظاهر أبي الحسن لهذا النوع ما جاء في (مقامة الوصية) المأثورة من رسالة الإمام الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز بوصيه فيها قائلاً: "إِنَّمَا الدُّنْيَا حُلْمٌ، وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ، وَالْمَوْتُ مُتَوَسِّطٌ..." (60). فجاء التشبيه بليغاً مما أصله المبتدأ والخبر مسبوفاً بـ(إنما) للقصر زيادةً للتوكيد والتنبية والمبالغة_وهو من باب قصر الموصوف على الصفة_ في ثلاث تشبيهات متعاقبات اجتمع فيهن المشبه إلى المشبه به في كل مرة من غير حائل أداة التشبيه, فكانت مضمرةً إيجاباً ومبالغةً في جعل الدنيا حلمًا, فشبه الدنيا المحسوسة بالحلم المعقول, فجعلها إياه في معرض الترغيب عنها لما في الحلم من مزية الزوال عند الانقضاء فلا يبقى منه إلا الأثر في الذاكرة كذلك الدنيا زائلةٌ ولا يبقى منها إلا الأثر بعد الانقضاء, فإن كان الأثر طيباً كانت العاقبة مثله, وإن كان الأثر خبيثاً لا تكون العاقبة إلا مثله, كما إن كلمة (الحلم) تطلق على ما يرى في المنام من الأشياء" ويغلب على ما يراه من الشر والقيح" (61) بدليل قوله (ﷺ):

(قَالُوا أَضَعْتُ أَحْلَمُ... [يوسف: 44], وَ (بَلْ قَالُوا أَضَعْتُ أَحْلَمُ... [الأنبياء: 5],

على عكس الرؤيا التي هي في الخير والشيء الحسن بناءً على الحديث الشريف:

"الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ." (62). فتشبيه الدنيا بالحلم قائم على الذم والترغيب عنها لأنها أقرب إلى حال الحلم في الإيهام والزوال والانتهاه والفناء وهذه من أوجه الشبه التي أعرض عن ذكرها لفتح نافذة التخيل في ذهن الكيس الفطن في التشبيه البليغ. وجعل (الآخرة كاليقظة) مشبهاً الآخرة_وهي من غيب علم الله (ﷺ) التي أنزلها في كتابه وأوجب الإيمان بها ركناً في عقيدة المسلم, وفي الشرائع السابقة جميعاً_ بحقيقة اليقظة الملموسة التي يعيشها الإنسان في حياته كل يوم, فجاء التشبيه بلا أداة ولا وجه الشبه لتحقيق التواصل والتمازج بين الطرفين وكأنها شيء واحد, مع تجنب التقييد بوجه الشبه وفتح باب التصور للخيال واسعاً لما يمليه عقل المتلقي وفننته من صور تجمع بين المشبه والمشبه به.

كما شكّلت صورة التشبيه الثاني (الآخرة يقظة) مع صورة التشبيه الأول (الدنيا حلم) صورة مقابلة للطباق بين الدنيا والآخرة وبين الحلم واليقظة. وختم التشبيه المفروق بالصورة الثالثة "(الموت متوسط)", فجاء بالموت_الذي هو حال الإنسان بعد انتهاء الأجل في الدنيا وإقباله على الآخرة وما فيها_ وشبهه بالمتوسط بين حالتي (الحلم واليقظة) الحلم بتمثيله الحياة الدنيا واليقظة بتمثيلها الحياة الآخرة, وهو تشبيه بليغ للموت وحياة البرزخ(*)_بالتوسط بين الحلم في أشد النوم وبين اليقظة في أشد الانتباه_ التي ورد ذكرها في كتاب الله (ﷺ) بقوله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾) [المؤمنون: 99-100]. ويعضده ما جاء في الحديث الشريف على لسان عثمان بن عفان (رضي الله عنه): "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَّحَ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ... " (63), وحديث: " النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَمُوتُونَ " (64).

فشبه الكاتب إجمالاً ثلاث مراحل رئيسة للإنسان منذ خلقه إلى يوم الحساب: الأولى يدركها ويعقلها فهي حياته, والأخرى يجهلها وهو موعودٌ بها وهي الآخرة, والثالثة يخافها ويرى بوادرها في بني جنسه وهي الموت, شَبَّهَهَا بثلاث أحوال يعيشها في يومه وليلته (الحلم) ويمثل النوم وغياب الوعي,

(57) لسان العرب: 160/5, وينظر مقاييس اللغة: 303/5.

(58) المصدر نفسه: 161/5, وينظر مقاييس اللغة: 303/5.

(59) ينظر: الإيضاح: 190, وفن التشبيه: 133/2, و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 213/2.

(60) مقامات الظاهر أبي الحسن: 33.

(61) لسان العرب: 145/12.

(62) صحيح البخاري: الطبعة السلطانية, دار طوق النجاة - بيروت, ط1, ١٤٢٢هـ, رقم الحديث 6984: 30/9.

(*) " الحاجز بين الشيئين, وما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث" لسان العرب: 8/3.

(63) مسند أحمد, تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون, مؤسسة الرسالة, ط1, ١٤٢١هـ, رقم الحديث 454: 503/1.

(64) الزهد لأحمد بن حنبل, وضع حواشيه محمد عبد السلام شاهين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢٠هـ, رقم الحديث 44: 11.

و(البقطة) وتمثل شدة الانتباه بخلاف النوم ونقيضه , و(المتوسط) وهو حال بين الحلم واليقظة , وهو إلى الحلم أقرب . وأول درجات النوم والنعاس لما يقال له الكرى⁽⁶⁵⁾ .

(3) التشبيه الملفوف :

وهو " ما أتى فيه بالمشبهين , ثم بالمشبه بهما"⁽⁶⁶⁾ أي أن يتعدد طرفا التشبيه فيجىء بالمشبهين معطوفين على بعضهما , ثم يجىء بالمشبه بهما معطوفين على بعضهما .

ومثاله عند الظاهر أبي الحسن من (مقامة الشيخ التونسي الصغير وسجدة الرجل المخمور) في قوله : "وراعوا علينا باليمين بالأكف والرؤوس , وكأنها المطارق والفؤوس ..."⁽⁶⁷⁾ .

إذ بدأ جملته التشبيهية بالفعل (راعوا) للجمع الذي يفيد الميل والانحراف في استخفاء , وأفاد الميل والاستعلاء للضرب عند اسناده إلى حرف الجر (على)⁽⁶⁸⁾ . ومن بعدها (باليمين) للبش والضراب . وههنا اقتباس من الآية الكريمة: (فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِأَيْمِينِهِ) [الصفات: 93] , التي وصفت حادثة تحطيم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لأصنام قومه . ثم عمد الكاتب إلى الإتيان بالمشبهين (الأكف والرؤوس) معطوفين على بعضهما بـ(الواو) , ومعلوم أن الأكف والرؤوس من الأطراف المستعملة عند بني البشر في القتال والضرب والبش والتجريح دفاعاً أو هجوماً , مستعملاً أداة التشبيه (كأن) والمشبه بهما (مطارق أو فؤوس) معطوفان على بعضهما أيضاً , والمطارق والفؤوس أدوات من حديد تستعمل للطرق والتحطيم والضرب والتشميم يستعملها الإنسان في سلمه وحره . فجاء التشبيه مجملاً لم يُقَدِّد بوجه الشبه وإنما يُستشف من صلابه معادن المطارق وقدرتها على الطرق والتحطيم ومن حدة الفؤوس وصلابتها ومقدرتها على القطع والتكسير في معرض المبالغة والتحويل لقوة المشبهين (الأكف والرؤوس) بالثقل والحجم وإلحاق الأذى والضرر فيمن تنهال عليه ضرباً وتعزيراً , والجملة مسجوعة بسجعتين قصيرتين بين المشبه الثاني والمشبه به الثاني (الرؤوس , الفؤوس) في جناس غير تام بنوعه اللاحق ؛ لابتعاد مخرج الراء من الفاء , كما نلاحظ أن بين اللفظتين معنى خفياً يجمعهما , فالرأس مصدر القوة وفيه ائزان الإنسان والفؤوس كذلك تستعمل للقوة .

ثالثاً / التشبيه المركب:

تنوعت استعمالات أستاذنا الظاهر للتشبيه ما بين المفرد والمتعدد_ وقد سبقا_ وصولاً إلى التشبيه المركب "الذي يتحد فيه المشبه والمشبه به ويكون مركباً من شيئين أو أكثر"⁽⁶⁹⁾ , وهو ما لا نجده في التشبيه المفرد الذي تكون أطرافه واضحة وصريحة " فأنك ترى صورتين على الحقيقة"⁽⁷⁰⁾ لا تحتاج إلى إمعان نظر. كذلك التشبيه المتعدد واضح وصريح بتعدد أحد طرفيه أو كليهما واقتراهما مع بعض أو تفرقهما عن بعض تقديماً وتأخيراً من دون الإخلال بالمعنى .

لكن التشبيه المركب يتميز عن سابقه , إذ "يكون كل من الطرفين (فيه) كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاحقت حتى صارت شيئاً واحداً"⁽⁷¹⁾ , وهو ما يعرف بتشبيه المركب بالمركب , وهو كباقي أنواع التشبيه قد يكون طرفاه حسيين أو عقليين أو وهميين وقد يتفاوتان في ذلك. فضلاً عن مجيء تشبيه المفرد بالمركب أو المركب بالمفرد وهو ما حضينا منه بمثال واحد في (مقامة ابي الحصان في حضرة السلطان) عند قوله: "على الرِّغَمِ مِنْ أَنَّ حَيَاةَ الذَّلِّ صَعْبَةٌ وَأَنَّ الْفَقْرَ مَعَ الْمَذَلَّةِ غُرْبَةٌ"⁽⁷²⁾ .

إذ جاءت هذه الحكاية على لسان الهدد أحد أبطال المقامة وهو يصف غاية بواحتها التي يحكمها حاكمٌ عديم الرأفة قليل الثقافة والحكمة مع ضعف في الهمة , وكيف أن رعاياه من قطعان الحيوانات يهابونه ويخشون بطشته في كل أحواله سقيماً كان أم سليماً جائعاً أم متخماً , يسعون لإرضائه متملقين مرغمين لا مختارين, خاضعين لجبروته وظلمه ذليلين من جورهِ وطغيانه لا ينالون من عطائه ونواله إلا الفتات وكأنهم الأيتام على مأذبة اللئام .

فجىء بجملة التشبيه مما أصله المبتدأ والخبر فكان التشبيه بليغاً بلا أداة تشبيه , مبدوءة بأداة التوكيد (إن) لإثبات وتوكيد ما بعدها (المشبه المركب) من كلمتي (الفقر, المذلة) مجموعتين متضامتين إلى بعضهما بـ(مع) لإفادة الاجتماع والتركيب وضم الشيء إلى الشيء والمصاحبة والتمازج بين المعنيين وهما مما اجتمع ذكرهما في كلام العرب لقولهم: "الذلة مع القلة أي الذل مع الفقر... ويجوز أن تكون القلة ههنا قلة العدد, وهي مما يذم بها"⁽⁷³⁾ , ثم جعل المشبه به (غربة) لصيقاً بهما بلا فارق الأداة لتحقيق المشابهة والمماثلة في جعل طرفي التشبيه شيئاً واحداً ودمج بينهما: فالأول باجتماع جزئيه المتضامين إلى بعضهما , والثاني جاء مفرداً في كلمة (غربة) من دون اتباعه بوجه الشبه أو قيد يحدهم فترك فضاء وجه الشبه للقارئ يملئ به بما يشاء من وجوه يظن لها وينبئ إليها ,

(65) ينظر : لسان العرب : 221/15 , و مقاييس اللغة : 5 / 173 .

(66) الإيضاح : 189 . وينظر : فن التشبيه : 132/2 , و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 215 / 2 .

(67) مقامات الظاهر أبي الحسن : 47 .

(68) ينظر : لسان العرب : 8 / 431 . و مقاييس اللغة : 2 / 460 .

(69) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 201 / 2 .

(70) فن التشبيه : 11 / 2 .

(71) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 202/2 .

(72) مقامات الظاهر أبي الحسن : 151 .

(73) جمهرة الأمثال : 1 / 379 .

وجاء بالمشبه مركباً من أمرين: أولهما الفقر في حالة العوز والحاجة، والثاني المذلة والشعور بالإهانة والصغار. جاء مجتمعين ليشكل صورة المشبه به وهو الإحساس والشعور بالغربة بما توحيه من عزلة ووحشة وخوف وترقب في تشبيه المركب بالمفرد، فالغريب لا يأمن ولا يثق بأحد لانقطاع صلته بمن حوله، ولانعدام الحليف والنصير والمعين، ومعاني هذا التشبيه نجدها متداولة ومجمعة في أشعار العرب كقول الإمام الشافعي (74):

إنَّ الغريبَ له مخافةٌ سارقٍ وخضوعٌ مديونٍ وذلةٌ وامقٍ
وإذا تذكَّرَ أهله وبِلاده ففؤاده كجناح طيرٍ خافقٍ

وقول جرير يهجو ربيعة: (75)

يحالفهم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئس الحليفان المذلة والفقر .

التشبيه التمثيلي :

إلى جانب شروط التشبيه المركب _ المذكورة آنفاً _ يجتمع اشتراط تركيب (وجه الشبه) سواء أكان حسياً أم معنوياً (76). وهو ما يعرف بتشبيه التمثيل أو التشبيه التمثيلي "وهو ما وجهه وصفٌ منتزع من متعدد أمرين أو أمور" (77)، وهو بهذا له خصوصية التشبيه أي "إنَّ التشبيه عامٌ والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل" (78)، والفرق بينهما أنَّ التشبيه "يكون من جهة أمرٍ بَيِّن لا يحتاج إلى تأوُّل" (79)، أما التمثيل فـ"يكون الشبه محصلاً بضربٍ من التأوُّل" (80)، فيتحصل لدينا أن وجهه وصفٌ مركبٌ منتزعٌ من متعدّدٍ يحتاج إلى ضربٍ من التأوُّل في استخراجِه وفهمِه .

ومن أمثله هذا التشبيه في مقامات الظاهر قوله في (المقامة المسكية) : " قال: فارتقى إلى السطوح وقلبه خافقٌ كطيرٍ للتو مذبوح , وهو لا يفكر إلا بالانتحار , هرباً من ارتكاب المنكر ولباس العار ... " (81) في معرض وصف هيئة هذا الشاب العفيف الذي تعرض للمراودة عن النفس من طرف امرأة استدرجته لفعلٍ مُشين، فجعل يختلق الأعذار حتى صعد إلى الكنيف* في أعلى الدار. فشبه الكاتب هيئة الشاب وحال الخوف لديه من الوقوع في الفاحشة وهتك الستر وانتهاك العرض وتدنيس العفة ولباس العار بهيئة الطائر المضطرب المتخبط الذي يرتجف ويتدافع للنجاة بحياته من سكين الذبح وقبضة الجزار نائراً ريشه الملطخ بدمه المسفوك , وهو لا يريد من هذا التشبيه إلا لحظة التهرب من كيد المرأة والتخلص من مراودتها وتسليطها سكين الفاحشة على وريد حياته وعفته وعرضه بلحظة تهرب الطير وتملصه من يد الجزار وسكينه وما يرافقها من حركةٍ وتدافعٍ واضطرابٍ وانفعالٍ مع صوت خفقان القلب الملتبس بالخوف والهلع .

فانتزع الشبه من متعدد ثلاثي : أوله وداعة الطير برمزيته للسلام والألفة والحياة , وآخره لحظة الذبح وما يرافقها من اضطرابٍ وتدافعٍ وجلبةٍ ينتج عنها سفك الدم ونزع الريش، وأخيرهُ الذبح في صورة إنهاء الحياة عند الطير والحياء عند الشاب العفيف، فجاء وجه الشبه تمثيلاً لهذه اللحظة بكل تفاصيلها وما تقضي إليه المخيلة والصورة عند كلا المخلوقين .

التشبيه الضمني :

ومن التشبيه المركب التمثيلي أيضاً ما يُستشفُّ من المعاني (ضمنياً) فلا يأتي على ما عهدنا من وضوح طرفيه وأداته وبقية أركانه , وإنما يُستشعر في النص من المعاني وبنیان النص العام , فهو ليس كالأساليب التي مرّت , إذ يُلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من المعنى ولا يكونان صريحين وإنما لكل منهما حُملٌ مستقلٌّ , وجلُّ مجيء المشبه به ما كان من الأمور اليقينية المُسلّمة أو الأمثال السائرة والحكم التي تظمنُّ بها القلوب وتألّفها العقول للتدليل والبرهنة والاحتجاج على إثبات الكلام الذي اسند إليه في المشبه , في معرض المساواة والمماثلة بين المشبه والمشبه به بلا زيادةٍ أو نقصان .

ومنها ما جاء في (مقامة مملكة الغابة) بقوله : "ووقف الملكُ مطرقاً ساعةً ثم قال: لقد منحتُ الحمارَ الغابةَ كلّها وليس نصفها, قلتُ لِمه ؟؟ قال: يا صديقي إنّ وطناً يقيد فيه كلبٌ أجربٌ أسداً وهو ملكُهُم ويحلُّ وثاقهُ حمار , هو الوطنُ الذي لا يساوي درهماً ولا ديناراً..." (82) .

فجاء الكاتب بالمشبه به في قوله: (إن وطناً يقيد فيه كلب أجرب... لا يساوي درهماً ولا ديناراً) دليلاً وبرهاناً على انعدام قيمة التملك على هذه المملكة واضمحلال قيمها وانقلاب قوانينها وأعرافها التي كانت تسري فيها وتُسَيِّرُ بها أمور خلائقها . إذ صار فيها الوضع ربيعاً وذو المقام ذليلاً مهاناً , كل ذلك تشبيه ضمني _ يُفطنُ إليه من العرض _ لزوال قيمة تلك المملكة وهوان ملكها والسلطان فيها بزوال قيمها الأخلاقية وقوانينها وأعرافها المنظمة للحياة فيها، وفقدان القيمة الحقيقية لهيبة الملك والسلطان بعد تسلُّط أضعف أفرادها

(74) ديوان الإمام الشافعي ت- عادل أنور خضر , دار النهج للدراسات والنشر و ط1, 1429-2008م : 76 .

(75) ديوان جرير، ت- كرم البستاني , دار بيروت للطباعة والنشر , بيروت , 1406-1986م : 201 .

(76) فن التشبيه : 12/2 .

(77) الإيضاح : 191 .

(78) أسرار البلاغة : 95 .

(79) المصدر نفسه : 90 .

(80) المصدر نفسه : 90 .

(81) مقامات الظاهر أبي الحسن : 78 .

* جاء في لسان العرب " الكنيف : الخلاء وَكُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى السَّتْرِ " : 310/9 .

(82) مقامات الظاهر أبي الحسن : 150 .

وعناصرها على صاحب أعلى سلطة حاكمة فيتحكم فيه ويملي عليه إرادته ويضع من قدره ويُهين شخصه , وهذا كله في معرض التشويه والتقليل من قيمة هذه المملكة وهذا السلطان , حتى صار لا يساوي شيئاً يذكر من درهم والدينار وهو تشبيه سلبي لحال الوطن والبلاد بسلطانها المنتزع من كل قيمه وهيبته .

خاتمة البحث

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية لبلاغة التشبيه في مقامات الظاهر أبي الحسن توصل البحث إلى النتائج الآتية:

❖ شكّل التشبيه في مقامات الظاهر أبي الحسن سمة بارزة ومتعددة لثلاثة أنواع رئيسة منه, وهي:

- 1- إذ جاء التشبيه المفرد بأنواع خمسة هي :
التشبيه البليغ (72 شاهداً) والذي يأتي بلا أداة ولا وجه شبه وكان متنوعاً: كالذي أصله المبتدأ والخبر، والذي جاء فيه (المشبه به) مصدرأ، وما كان فيه (المشبه به) من صيغتي (أفعل) . والمؤكد (7 شواهد) الذي يأتي بلا أداة تشبيه مع وجود بقية أطرافه ومختلفاً عن البليغ بوجود وجه الشبه. والمرسل المجمل (74 شاهداً) الذي تذكر فيه أطرافه إلا وجه الشبه يكون مخفياً . والمجمل المفصل (16 شاهداً) الذي يأتي مفصلاً بذكر جميع أطرافه بلا استثناء . إلى جانب (شاهدين) من التشبيه محذوف منه المشبه به , هو تشبيه نادر استعماله ، إذ كان فيه المشبه به محذوفاً غير مذكور وإنما يقدر في نفس المتلقي .
- 2- جاء التشبيه المتعدد على ثلاثة أنواع هي:
تشبيه الجمع (25 شاهداً) الذي يتعدد فيه المشبه به دون المشبه ، ثم التشبيه المفروق (7 شواهد) الذي تقرر أطرافه إلى بعضها مشبه به مع مشبه. ثم يتكرر التركيب السابق مرتين وأكثر ، ثم التشبيه الملفوف (شاهد واحد) الذي يأتي فيه بالمشبهين أو ثلاثة ثم بالمشبه بهم بتعدد الطرفين كل على حدة .
- 3- جاء التشبيه المركب (شاهد واحد) وهو المنتزع من متعدد شيئين أو أكثر, إذ يأتي من صور مركبة متحدة من صورتين المشبه والمشبه به، ثم التشبيه التمثيلي (9 شواهد) الذي يحتاج إلى تأويل ليتضح أمام المتلقي، إذ يأتي مركب المشبه ومركب المشبه به إلى جانب تركيب صورة وجه الشبه معهما، وأخيراً التشبيه الضمني (4 شواهد) الذي لا يكون واضحاً للعيان وإنما يستشف ويستشعر من خلال بنية النص لاحتواء تركيبه على البراهين الحجاجية والأدلة المنطقية , وهو على غير سياقات التشبيه المعتادة إذ يكون مخفياً في صورة ضمنية يعرفها القارئ الحاذق ويلمحها من السياق العام للنص .
- ❖ كشف التحليل عن مقدرة هذا الفن في تصوير الأحاسيس والمشاعر والأحوال النفسية التي صورها الكاتب في مقاماته لمعرفته الدقيقة في طبائع الناس وتصوراتهم .
- ❖ بان من دراسة التشبيه أن البيئة المحلية المحيطة بالكاتب كانت المصدر الرئيس لصوره التشبيهية فاختار منها ما تناسب الموضوعات التي عرضها.
- ❖ وظّف الكاتب فن التشبيه -بمختلف ألوانه- بوصفه أحد أهم الأدوات اللغوية لتدعيم حججه وبراهينه في إثبات صحة المبادئ والقاعدة القيمية التي يدعو إليها في مقاماته بأنواعها؛ الاجتماعية والدينية والتاريخية ... وانطلاقاً من وقائع افتراضية رمزية وواقعية في الآن نفسه .

Resources

1. Advantages and Disadvantages , Ibrahim bin Mohammed Al-Bayhaqi , (Comprehensive Library).
2. Al-Ain ,Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi , Abdul Hamid Hindawi , Scientific Books House, Beirut , 1st Edition , 1424AH - 2003AD .
3. Al-Athal Complex, Field , Investigation by Muhammad Muhyieddin Abdul Hamid , Al-Sunnah Al-Muhammadiyah Press, 1374AH- 1955AD .
4. Al-Dahr Orphan in the Advantages of the People of the Age ,Al-Tha 'alibi, Mufid Muhammad Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1 , 1403AH -1983AD.
5. Al-Idhah fi Uloom Al-Balaghah, Al-Khatib Al-Qazwini, Edited by Ibrahim Shams Al-Din ,Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah ,Beirut, 2, 2010.
6. Al-Kamel in Language and Literature ,Abu Al-Abbas Al-Mubarrad , Mohammed Abu Al-Fadl Ibrahim ,Dar Al-Fikr Al-Arabi, 3rd Edition , 1417AH - 1997AD.
7. Al-Omda fi Mahasen Al-Shaar, Ibn Rashiqa Al-Qayrawani , T. Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid , Dar Al-Jil Beirut ,5th Edition, 1981 .

8. Al-Tabayan fi Al-Bayan, Sharaf Al-Din Al-Taybi, Dr. Yahya Murad ,Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition , 1435AH-2004AD .
9. Arabic Rhetoric, Another Reading,, Dr. Mohamed Abdel Muttalib, Egyptian International Publishing Company,2nd Edition (DT).
10. Asrar Al-Balagha, Abdul Qaher Al-Jurjani, T. Mahmoud Mohamed Shaker , Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah (Dr. I) (D. T.).
11. Deaths of notables ,Ibn Khalkan , Investigation of Ihsan Abbas , Dar Sader Beirut, 1398 AH - 1978AD.
12. Dictionary of Writers, Yaqout Al-Hamawi, Investigation by Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami ,Beirut,1st Edition,1993
13. Diwan Abi Nawas with the novel of Al-Suli, Bahjat Abdul Ghafour Al-Hadithi, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, National Library, 1st Edition, 2010.
14. Diwan Jarir, T. Karam Al-Bustani , Beirut House for Printing and Publishing , Beirut , 1406AH - 1986AD .
15. Diwan of Imam Al-Shafi 'i ,T-Adel Anwar Khader , Dar Al-Nahhaj for Studies and Publishing, 1,1429 AH- 2008AD.
16. Diwan Uday bin Zaid Al-Abadi , Mohammed Jabbar Al-Mu 'aybid , , Dar Al-Jumhuriya for Publishing and Printing , Baghdad 1965.
17. Explanation of the Diwan of Antara ,Al-Khatib Al-Tabrizi ,put his margins Majid Tarrad ,Dar Al-Kitab Al-Arabi ,Beirut , 1st Edition , 1992 .
18. Glossary of Rhetorical Terms and their Development ,Dr. Ahmed Mulab, Arab House for Encyclopedias ,Beirut, 1st Edition , 1427AH - 2006AD.
19. Jamhara al-Amthal , Abu Hilal al-Askari ,T- Ahmed Abdel Salam and Muhammad Said Bassiouni Zaghloul , Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah,Bayut, 1st Edition , 1408AH - 1988AD.
20. Jumhara Al-Lughah , Ibn Duraïd , Ramzi Munir Baalbaki , Dar Al-Ilm for Millions ,Beirut, 1st Edition, 1987.
21. Language Standards Ibn Fares , Investigation of Abdulsalam Muhammad Harun , Dar al-Fikr, (DT), 1399AH -1979AD.
22. Lisan Al-Arab , Ibn Manzoor, Dar Sader Beirut, (Dr. I) (D. T.) .
23. Maqamat Al-Zahir Abu Al-Hassan - Study and Texts ,Dr. Abdullah Fathi Al-Zahir ,Dar and Sharka for Printing and Publishing - Mosul, 1st Edition ,2021 AD .
24. Miftah Al-Ulum ,Abu Yaqoub Al-Sakaki , T- Naim Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd Edition , 1407AH-1987AD .
25. Mujez Ahmed (Explanation of Mutanabbi's Diwan), Abu Alaa Al-Maari (Comprehensive Library) .
26. Musnad Ahmed , Investigation: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid et al., Al-Resala Foundation, 1st Edition,1421AH .
27. Poetry of Arzi Bread in Al-Madhan ,Muhammad Qasim Mustafa and Sana Taher Muhammad , Journal of the Institute of Arab Manuscripts in Cairo Volume 39- Part 2-85 , Sha 'ban 1416 AH/ January 1996AD .
28. Sahih Al-Bukhari: Royal Edition, Dar Tawq Al-Najat - Beirut, 1 , 1422AH .
29. Sahih Sunan Al-Nasa 'i , corrected his hadiths: Muhammad Nasser Al-Din Al-Albani , Bureau of Education for the Arab Gulf States, Riyadh , 1409 AH .
30. Sunan Al-Tirmidhi , Investigated by Ahmed Mohamed Shaker , Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Press Company – Egypt , 2nd Edition ,1395AH -1975AD .
31. The Art of Simulation,Ali El-Gendy, Nahdet Misr Library and Printing Press, 1952AD ,1st Edition.

32. The asceticism of Ahmed bin Hanbal, edited by Muhammad Abdulsalam Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1420AH.
33. The Book of Two Industries Writing and Poetry, Abu Hilal Al-Askari , T. Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim ,Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya , 1 , 1371AH- 1952AD.
34. The Scapegoat , Rene Gerard, translated by Manar Rashidi Anwar , Dar Al-Sharqiyyah,Beirut , (DT) .
35. The Walking Proverb, Diaa Al-Din bin Al-Athir , , T. Ahmed Al-Houfi and Badawi Tabbana , Dar Al-Nahda Egypt, 1st Edition, 1960AD.